المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 27-03-2007 العـــدد : 12598
الصفحـات : 25 المسلسل : 186

ملف صحفي

رسالة مفتوحة إلى الملك عبد الله بن عبد العزيز

سلطان السعد القحطاني

خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز..

تحية طيبة، وبعد:

أكتبُ إليكم يا خادم الحرمين هذه الرسالة المفتوحة وأنتم على مسافة ساعات قصار من رئاسة أعمال القمة العربية التاسعة عشرة التي تحتضنها عاصمة حكمك الرياض.. ولسوف تُطوى هذه الساعات كما يطوي البرق سقف السماء، لنراكم بعدها برفقة ٢١ زعيماً عربياً على منصة القمة: تتحدثون وتتشاورون وتصدرون بياناً ختامياً يحمل خلاصة مؤتمركم، ونتمنى أن يصل هذا البيان إلى سقف التوقعات الأعلى للشعوب العربية.

أكتب إليكم مولاي الملك وأنا أفتح عيني وأذني على اتساعهما لأراقب وأشاهد وأستمع إلى معزوفتين بدأتا في العزف بإصرار لا مثيل له بعد ركون طويل إلى الصمت، متسائلاً عن جدوى هذا الضجيج في مثل هذا الوقت قبيل فعاليات القمة، وما أهدافه وخططه المبتغاة.

النغمتان هما: احترام الشرعية الدولية، وتحريك عملية السلام.

وأما العازفتان فهما الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل: يجلسان على منصة واحدة، ويستخدمان نفس الآلات الموسيقية، ويسبحان نشازاً لا تخطئه الأذن الموسيقية المدربة التي تعرف لماذا يغني المغني على ليلاه، أو ليلى الآخرين، في وقت حساس كهذا، لا مجال فيه لإظهار حسن النوايا بعد أن فات ما فات من الوقت.

وهاتان المعزوفتان بدأتا في التصاعد مرة تلو الأخرى بصوت يزداد علواً كلما قصرت المسافة الزمنية إلى القمة العربية المقبلة واقترب عدد ساعاتها، وكأن السلام الذي تأخر عن الوصول إلينا منذ نصف قرن قد يأتينا ويصبح حقيقة واقعة خلال هذه الأيام القليلة التي تعد على أصابع نصف اليد الواحدة.

ليتنا نسمي الأشياء بأسمائها يا خادم الحرمين.. إسرائيل منذ ولادتها القيصرية في جسد الوطن العربي لم تكن سوى مديرة لمكتب واشنطن في الشرق الأوسط: تنفذ المخططات، وتحاول أن تظهر هذه المنطقة كما تراها عبر نظارة الاستعمار والاحتلال والاستيطان، ولا بأس في أن تتحمل للحظات كيف أن مديرتها قد تعطي قليلاً من القليل إلى الدول العربية؛ لأن لكل وقت فلسفته وحركته وسياسته، على رغم أنها لاحقاً تأخذ أجر الصمت مضاعفاً عبر منح مالية وصفقات تسلُّح مدفوعة الثمن مقدماً دون قبض.

إن أمريكا يا خادم الحرمين لا تعترف بسلام بين

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 27-03-2007 العـــدد : 12598
الصفحـات : 25 المسلسل : 186

العرب والدولة العبرية دون أن يكون سلاماً مصنوعاً في إسرائيل، ومفصلاً حسب قياس جسدها الذي لا يعترف بالحمية، بل يؤمن بالتمدد والتوسع والانتشار حتى يغطي المنطقة بأسرها يوماً ما.. هذا هو الحلم الإسرائيلي الذي تسير إليه تل أبيب بكل إصرار وتصميم، دون أن ندرك خطورة الوضع أو نحاول السيطرة عليه قبل وقوع المحظور.

وها قد رأيت بعينيك وسمعت بأذنيك - مولاي - كيف رفضت واشنطن التعامل مع حكومة الوحدة الفلسطينية التي ضمّت عناصر من فرقاء النضال؛ حماس وفتح، بعد ساعات ماراثونية مليئة بالقلق على غير مبعدة من أستار الكعبة وقريباً منك عقب أن لبّوا دعوتك الصارخة بوجوب إبعاد البنادق عن صدور بعضهم البعض، وصون منجزات الكفاح المشرف.. وكل ذلك لأن هذا الاتفاق لم يأت من قاعات البيت الأبيض، بل من نفحات البيت العتيق في مدينة هي مهد الإسلام.

وها هي واشنطن ومن خلفها إسرائيل تعودان إلى التذكير بتوصيات اللجنة الرباعية الدولية، وتسليط سيفها على رؤوسنا، بعد أن كانتا المتجاهلتين لهذا الاتفاق إلى أن ذوى ومضى أدراج الرياح، وأصبحت صورة (ممارسات رفضها) تُرى طبعتها واضحة على ورق الاتفاق بفضل كثرة القفز عليه، والدوس على بنوده، وتجاوزه إلى ما سواه من الحلقة المفرغة التي يدور فيها الشرق الأوسط حالياً.

وفي هذه الأيام انتفضت فجأة كوندليزا رايس مذكرةً بأن هناك عملية سلام في المنطقة لا بدّ من تحريكها، وعلى الضفة ذاتها يظهر المسؤولون الإسرائيليون واحداً إثر الآخر مذكرين بالمبادرة العربية ووجوب اعتمادها في القمة وإطلاقها مرة أخرى، وربما تعديلها لتخرج حسب المواصفات الإسرائيلية.

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل يصل سقف الطموحات الإسرائيلية إلى حدّه الأعلى حين يطالبونك يا سيدي بأتخاذ إجراء تقدُّمي - حسب وصفهم - مشابهاً لما فعله الرئيس أنور السادات عبر القيام بزيارة إلى تل أبيب وإلقاء خطاب عن المبادرة العربية في الكنيست الإسرائيلي، وربما زيارة حائط المبكى من باب إظهار حسن النوايا.. وهيهات هيهات أن يفعلها ملك عربي مثلك، تجري في شرايينه دماء هذه الأمة الضاربة في جذور الزمن، وتسكن العروبة في نسغ النسغ من عظامه.

إن كل هذه التحركات الأمريكية الإسرائيلية التي نشاهدها على هذا المسرح الكبير المسمى الشرق الأوسط ليست سوى خطط مدروسة لمحاولة إحداث ثقب في جدار التضامن العربي الداعم لحكومة الوحدة الفلسطينية؛ لأن هذا الاتفاق الحيوي دقّ ناقوس الخطر في واشنطن وتل أبيب كونه جاء إنجازاً عربياً محضاً لا شركاء فيه من أي رقعة كانت، وفي رأيهم فإن هذا تحرك خطير قد يغري العرب بالتقدم خطوة ثانية إلى الأمام.

□□□

لماذا تحرّكت رايس بهذه الهمة التي يحسدها عليها العدّاءون في كل دول العالم لتحريك عملية السلام هذه الأيام؟!

الإجابة عن ذلك هي أنها وجدت العديد من المؤشرات التي تؤكد أن القمة قادرة - لو أرادت - على تحريك ما هو راكد في المنطقة.

وأهم تلك الأسباب التي أثارت رغبة الوزيرة الأمريكية في السيطرة على القمة عبر معزوفة (تحريك عملية السلام) هي أنها وجدت على قائمة طلبات الحضور إلى القمة دولاً مؤهلة لتصبح في يوم من الأيام قطباً عالمياً جديداً يقف حاجزاً أمام الطموحات الإسرائيلية والأمريكية في المنطقة الشرق أوسطية من العالم.

وتبرز على قائمة الحضور إلى القمة العربية هذا العام أسماء مثل روسيا والصين واليابان وغيرها من الدول التي تعقد على القمة آمالاً قد تسهم في تكوين تحالفات جديدة تنصبّ في صالحنا، ونستطيع بها أن نملك العديد من الأوراق التي تحدث تأثيراً مهماً في الساحة الدولية.

إن أمريكا لا تتحرك إلا إرضاءً لإسرائيل، ولنا في كل مشروعاتها السابقة عبرة وعظة، فمن (حلف الدفاع عن الشرق الأوسط) و(مبدأ أيزنهاور) وصولاً إلى (الشرق الأوسط الجديد) الذي تريد واشنطن أن تكون الغلبة فيها لإسرائيل وحدها.

أنت يا مولاي حاكم أكبر دولة في شبه الجزيرة العربية؛ منبت العرق العربي وأيقونته الصارخة، وأنت حاكم الدولة التي تعتبر مهد الإسلام وعبرت من صحاريها قوافل الفتوحات وأساطين الجند لتكوين أكبر دولة إسلامية في التاريخ. وأنت الوحيد الذي تستطيع تسيير مئات الملايين من المسلمين إلى ما تراه لصالح هذه الأمة.

هذه يا خادم الحرمين لا أكتب سلسلة إملاءات أو توجيهات.. حاشا وكلا، ولكنها مشاعر وأحاسيس حرّكتها طبيعة الأحداث في المنطقة، وزادت من أهمية كتابتها مراقبتي للحركة غير الطبيعية التي ألاحظها الآن على مسرح عالمنا العربي.

□□□

وختاماً يا ملك العرب فإنني أودّ أن أقول: إنني لا أصنّف نفسي في فئة الخبراء الضليعين في السياسة وشجونها، ولا أعرف فنون الحكم، ولا حركة شطرنج الدبلوماسية الدولية.. لكن كل ما أعرفه أننا كعرب ما زلنا نجلس منذ نصف قرن في مربع واحد من لوح الشطرنج الكبير دون أن يُسمح لنا سوى بلعب نقلة واحدة - من باب اللياقة - هي نقلة البداية، بينما أعداؤنا يحرّكون نقلاتهم واحدة تلو الأخرى قريباً من المسؤولين في دولنا وما إلى ذلك من الجالسين على هذا اللوح المخطّط بالأسود والأبيض.. فأتمنى أن تقلب هذه القمة الطاولة في وجه الجميع.